[203] النعمة عليه ليعرف بها ربه، ويعلم بها عظمته وجلاله، وأنه لا يليق الكبرياء إلا به عزوجل. فلذلك امتن عليه، فقال تعالى: ألم نجعل له عينين * ولسانا وشفتين * وهديناه النجدين " (1) وعرف خسته أولا فقال: ألم يك نطفة من مني يمنى * ثم كان علقة " (2) ثم ذكر منه فقال: فخلق فسوى * فجعل منه الزوجين الذكر والانثى " ليدوم وجوده بالتناسل كما حصل وجوده ابتداء بالاختراع فمن كان هذا بدؤه، وهذا أحواله، فمن أين له البطر والكبرياء ؟ والفخر والخيلاء ؟ وهو على التحقيق أخس الاخساء، وأضعف الضعفاء. نعم لو أكمله وفوض إليه أمره، وادام له الوجود باختياره، لجاز أن يطغى وينسى المبدء والمنتهى، ولكنه سلط عليه في دوام وجوده الامراض الهائلة، والاسقام العظيمة، والافات المختلفة، والطبايع المتضادة: من المرة، والبلغم، والريح والدم، ليهدم البعض من أجزائه البعض، شاء أم ابى، رضي أم سخط، فيجوع كرها، ويعطش كرها، ويمرض كرها، ويموت كرها، لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا، ولا خيرا ولا شرا، يريد أن يعلم الشئ فيجهله، ويريد أن يذكر الشئ فينساه ويريد أن ينسى الشئ فيغفل عنه فابغفل، ويريد أن يصرف قلبه إلى ما يهمه فيجول في أودية الوسواس والافكار بالاضطرار، فلا يملك قلبه قلبه، ولا نفسه نفسه. يشتهي الشئ، وربما يكون هلاكه فيه، ويكره الشئ، ويكون حياته فيه، يستلذ الاطعمة فتهلكه وترديه، ويستبشع الادوية وهي تنفعه وتحييه، لا يأمن في لحظة من ليله ونهاره أن يسلب سمعه وبصره وعلمه وقدرته، وتفلج أعضاؤه ويختلس عقله، ويختطف روحه، ويسلب جميع ما يهواه في دنياه، وهو مضطر ذليل، إن ترك ما بقي، وإن اختطف فني، عبد مملوك لا يقدر علي شئ من نفسه ولا من غيره، فاي شئ أذل منه لو عرف نفسه ؟ وأنى يليق الكبر به لولا جهله ؟

_____ (1) البلد: 8 - 10. (2) القيامة: 37 (*).

_____